العرب
الجمعة 2020/12/11
السنة 43 العدد 11908

مصر تودع نبيل فاروق «رجل المستحيل»

القاهرة – توفي الروائي المصري الشهير نبيل فاروق مساء الأربعاء، إثر أزمة قلبية، بعد عقود عرفه فيها العالم العربي بروايات في الأدب البوليسي والخيال العلمي، منها "رجل المستحيل" و"ملف المستقبل".

قالت ابنة الروائي ريهام نبيل فاروق إن والدها توفي إثر تعرضه لأزمة قلبية.

ونعت الدكتورة إيناس عبدالدايم وزيرة الثقافة وجميع الهيئات والقطاعات فاروق الذي غيّبه الموت عن عمر ناهز 65 عاما.

وقالت الوزيرة إن فاروق "يمثل علامة بارزة في الكتابة الروائية البوليسية التي تربت عليها أجيال من أبناء مصر والتي ساهمت في تشكيل وعيهم وفكرهم".

كما نعى سعيد عبده رئيس مجلس إدارة دار المعارف ورئيس اتحاد الناشرين الكاتب، مؤكدا أن أعمال ومؤلفات فاروق البوليسية "ستظل شاهدة على هذا المبدع المتميز وتراثا تتوارثه الأجيال وتظل شاهدة على إبداعه الفني".

والراحل من مواليد فبراير 1956 وتخرج من كلية الطب واشتهر بالأدب البوليسي والخيال العلمي.

ونبيل فاروق من أشهر الكتّاب العرب في الأدب البوليسي والخيال العلمي، ويعتبر من الروّاد في هذا المجال على الصعيد العربي. له مجموعة كثيرة من القصص التي كانت تصدر في شكل كتب الجيب، حيث قدّم عدة سلاسل قصصية من أشهرها "ملف المستقبل"، "رجل المستحيل" و"كوكتيل 2000".

"رجل المستحيل" كانت أشهر أعمال الكاتب، وصدر من هذه الرواية 160 عددا، وكانت الأكثر اقتناء لدى جيل الشباب في ثمانينات وتسعينات القرن الماضي، خاصة قبل انتشار الروايات عبر الإنترنت.

> **الكاتب نجح في أن يحقق شهرة كبيرة لدى الشباب من خلال أعماله في الأدب البوليسي والخيال العلمي**

وكانت شخصية أدهم صبري في سلسلة روايات "رجل المستحيل" هي الأكثر شهرة بين الشباب، وهي شخصية من ابتكار فاروق، وتعمل في جهاز استخباراتي مصري، وخاضت مواجهات مع أجهزة استخبارات، منها "الموساد" الإسرائيلي.

يجيد أدهم صبري كل فنون القتال، ويستخدم عدة أنواع من الأسلحة والمراكب والغواصات والطائرات، ويجيد التحدث بعدد من اللغات وبلهجات مختلفة، ويمتلك عددا آخر من المهارات كالقدرة الفائقة على تقليد نبرات الأشخاص الذين يقابلهم، والتنكر وتقمص شخصية من أمامه، كما تلقى وسامته إعجاب الكثير من الشخصيات.

يواجه أدهم صبري مؤامرات الاستخبارات الأجنبية والأخطار التي تهدد بلده مصر، في مغامرات تطوف أرجاء الأرض، مصحوبا بفريق عمله وأبرز أعضائه قدري ومنى توفيق.

وصدر أول أعداد "الرجل المستحيل" بعنوان "الاختفاء الغامض" سنة 1984، ولاقت نجاحا متواصلا في العالم العربي حتى العدد الأخير الذي أنهى السلسلة عام 2009.

وعن نجاح سلسلة الرجل المستحيل، أكد كاتبها الراحل أن أساسه كان تكنيك الكتابة القائم على عنصر المفاجأة، وأن ذلك جعله يبذل مجهودا كبيرا، لكي يكون لكل شخصية تميز ما يعطي لها حيوية.

واستطرد فاروق أنه يتقمص شخصيات أعماله الفنية أثناء الكتابة، كما يتفاعل معها، موضحا أن رواية الرجل المستحيل رفضت من كل دور النشر، وهناك من راهنوه على فشلها في مصر، موضحا أن من راهنه قابله بعد ذلك في إحدى الحفلات وكتب له شيكا بألف جنيه.

نبيل فاروق وأحمد خالد توفيق قصة شراكة بين الاثنين ربما من المولد حتى القبر، وقد نجح كلاهما في تقريب الأدب من الشباب، وفي ابتكار أساليب جديدة في الكتابة العربية من خلال النصوص البوليسية للأول ونصوص الرعب للثاني.

وقد نعى فاروق العديد من الكتاب والقراء، وخاصة من أجيال الثمانينات والتسعينات الذين تأثروا بقصصه ورواياته بشكل كبير، إلى الحد الذي اعتبروه صانع شبابهم.

وعبر الإعلامي إبراهيم عيسى عن حزنه من خبر وفاة الدكتور نبيل فاروق صاحب سلسلة رجل المستحيل، قائلا "مصر فقدت رجلا عظيما نموذجيا بالمعنى الحرفي للكلمة"، ومعتبرا أن الراحل حفز الأجيال الشابة بشخصية رجل المستحيل القادر بإرادته وعقله وإصراره وعزمه على تحقيق انتصارات في مواجهة التحديات.

وتابع "نبيل فاروق ظهر في الثمانينات مع خروج المصريين إلى العالم بعد الانفتاح، وكان وقتها التيار السائد والمهيمن على أجيال الشباب التيار الإسلامي، ونبيل فاروق كان يوجه الطاقة والحلم ليكون صاحب قضية ومشروعا للقضية الوطنية وحقق جماهيرية واسعة جدا من أعماله".

وتعددت المواقف السياسية لفاروق الذي ناهض جماعة الإخوان في مصر، قبل وأثناء وبعد حكمهم، معتبرا أنهم انتهجوا طريقة حكم النازيين في أربعينات القرن الماضي.

ونعت الكاتب كذلك دار "دَوّن" للنشر والتوزيع، في بيان، قائلةً إن "نبيل فاروق الكاتب والروائي العظيم رائد فن كتابة أدب الجاسوسية وأدب الخيال العلمي في الوطن العربي والعالم، وترك بصمة ممتدة وخالدة في وجدان كل الشباب".

وتابعت أنه كان "مكتشف مواهب وكاتبا عظيما أثر في وجدان جيل كامل وشريك نجاح لكل من تعاون معه".

كاتب صنع شباب الكثيرين

على العرب أن يفكروا دون الشعور بالإثم

«المطابقة والاختلاف» مشروع نقدي يخرج الثقافة العربية من الصدام

تحكم الفكر النقدي العربي اليوم الكثير من الثنائيات، التي تبدأ من الأنا والآخر، ولا تنتهي من إنشاء المقابلات بين الأفكار والتصورات التي يحاول أغلبها كشف الاختلاف أو تأكيد التفاعل بين الذات والآخر، وبين العرب والغرب بصفة خاصة، وهو ما قاد إما إلى الانكفاء على الذات أو الذوبان في الآخر.

عواد علي
كاتب عراقي

يبحث مشروع "المطابقة والاختلاف" للناقد العراقي عبدالله إبراهيم، بأجزائه الثلاثة الصادرة عن مؤسسة "مؤمنون بلا حدود"، في الروايتين الغربية والإسلامية حول الذات والآخر، مؤكدا على فكرة أساسية هي أن المركزيات تصاغ استنادا إلى نوع من التمثيل الذي تقدمه المرويات الثقافية (الدينية، والأدبية، والتاريخية، والجغرافية، والفلسفية، والأنثروبولوجية) إلى الذات المعتصمة بوهم النقاء الكامل، والآخر المدنس بالدونية الدائمة.

ويرى الناقد أن التمركز هو نوع من التعلّق بتصور مزدوج عن الذات والآخر، تصوّر يقوم على التمايز والتراتب والتعالي، ويتشكّل عبر الزمن بناء على ترادف متواصل ومتماثل لمرويات تلوح فيها بوضوح صورة انتقيت بدقة لمواجهة ضغوط كثيرة.

الثقافة تموت حين تنكفئ على ذاتها أو تذوب في الآخر (لوحة للفنان باسم دحدوح)

التمركز الذاتي

تكشف التحليلات المعمقة للمرويات الكبرى الطريقة البارعة للسرود التي تنتظم حول حبكة دينية، أو ثقافية، أو عرقية مخصوصة، مخضعة كل عناصر السرد لخدمة تلك الحبكة، التي تظل يقظة في إثراء تمجيدي للذات، وخفض تبخيسي للآخر.

هذا ما سوّغ لإبراهيم ضرورة الانطلاق من واقع العالم اليوم من أجل كشف الأسباب التي تتبلور فيها أفكار التمركز، كما هو الأمر بالنسبة إلى المركزية الإسلامية في الرهانات والسجالات القائمة في عصرنا، حيث يتطلّع مشروع الناقد إلى الالتحاق بالبحوث الفكرية، التي تسعى إلى البحث في معنى العالم، وتسهم في تفسيره، فلولاها لكان العالم، حسب رأيه، مازال مبهما، يشوبه الالتباس؛ فالمشاريع الفكرية تقترح تأويلا للعالم، ووصفا للمعرفة، وتتخطّى ذلك، في بعض الأحيان، إلى بسط مقترحات حول تغيير الأفراد والمجتمعات، وإعادة النظر في تواريخها.

وقد قطف العالم ثمار الكثير من البحوث الفكرية، وأفاد منها، وعلى الرغم من ذلك، أغلبها أمسى اليوم في ذمّة التاريخ؛ لأنها انتظمت في إطار نموذج (paradigm) خاص بعصرها، كالنموذج اللاهوتي، أو الميتافيزيقي، وما عادت فاعلة في العصور الحديثة، غير أنّها حفّزت الأفكار الجديدة إمّا لمعارضتها وإمّا لموافقتها، وإمّا لتخطّيها.

وبما أنّه لكلّ عصر نموذجه الفكري، يرى إبراهيم أنه من اللازم الاعتراف بأن عصر بناء الصروح الفكرية الكبرى قد انحسر، وبدأ يتوارى، وحلّ محله عصر النقد والتحليل؛ أي تحليل الصروح التي وُضِعت تحت تصرف الناس نظاما متّسقا من الفرضيات والنتائج. ولطالما ألهمته تلك الصروح بالطموح، وليس بالنتائج؛ فلكي يقع الإلمام بظاهرة كبيرة، كالمركزيات الثقافية، والدينية، والعرقية، ينبغي تمهيد الأرضيّة، ووضع الإطار المنهجي، واقتراح المفاهيم، ثمّ صوغ رؤية يصدر عنها الباحث في مقاربته لتلك الظواهر.

لقد انغمس الباحث في مشروع "المطابقة والاختلاف" نحو ربع قرن، بالتوازي مع غوصه في دراسة الظاهرة السردية باعتبارها ظاهرة ثقافية. ويعترف بأنه انخرط في دراسة المركزيات الثقافية، وهي تشكّل لبّ المشروع، وعالجها على مستويين؛ أولهما ظاهرة التمركز حول الذات في سياقها الثقافي والتاريخي، وثانيهما تحليل فرضيّاتها وبنياتها، والسعي إلى تفكيكها من أجل تفريغ حمولاتها الأيديولوجية. وكان يجري تعديلا على بعض أفكاره كلّما وجد حاجة إلى ذلك.

يتساءل إبراهيم في تمهيده للمشروع: كيف يمكن كشف صورة التطابق، التي تتّصف بها الثقافة العربية الحديثة مع المركزيات الكبرى: المركزية الغربية، والمركزية الإسلامية، أي المركزيات التي لها صلة مباشرة بثقافتنا؟

ويرى أن الجواب يكمن في الفحص النقدي، الدقيق والجريء، لمعطيات تلك الثقافة، وذلك الفحص سيكشف معضلة مكينة استوطنت نسيجها الداخلي، ألا وهي "مماثلة" الثقافة الغربية، من جانب، و"مطابقة" تصوّرات الثقافة الدينية الموروثة، بطابعها السجالي وليس العقلي – الثقافي، من جانب آخر.

فحيثما اتّجهت تلك النظرة في حقول التفكير المتعدّدة، لا تجد أمامها (على مستوى الرؤى والمناهج والمفاهيم) غير ضروب من "التماثل" و"التطابق" مع ثقافات استُعيرت من مرجعيات مختلفة مكانيا وزمانيا، فرضت حضورها وهيمنتها في المعطى الثقافي الحديث مباشرة، وتجاوزت ذلك إلى حدٍّ أصبحتْ فيه على صلة وثيقة بالتصورات التي تنتج ذلك المعطى، سواء أتمّ الأمر استنادا إلى مبدأ القبول أم تمّ استنادا إلى مبدأ الرفض وردّ الفعل.

ويعود ذلك، في ما يعود، إلى سببين رئيسين: أولهما يتّصل بهيمنة "المركزيات الثقافية الكبرى" ومحدِّداتها الأيديولوجية، وهي تمارس اختزالا لثقافتنا الحديثة، وثانيهما: الاستجابة السلبية لمعطيات تلك المركزيات، وعدم القدرة على التحرّر من فرضيّاتها الأساسية، والاختلاف المعرفي معها، وهو أمر يتعلّق بواقع الثقافة العربية الحديثة، التي رهنت ذاتها بعلاقات امتثالية لتلك المركزيات، ولم تفلح في بلورة أُطر عامة فاعلة تمكّنها من الحوار المتفاعل معها، فكانت تستعيد تصوّراتها دون مراعاة التباعد المرجعي والزمني.

الحاجة إلى الاختلاف

ليس المقصود بـ"الاختلاف" في هذا المشروع، كما يقول الناقد، الدعوة إلى "قطيعة" مع الآخر، ومع الماضي، والاستهانة بهما، واختزالهما إلى مكوِّن هامشي؛ ذلك أنّ القطيعة لن تحقّق إلا العزلة والانغلاق، والاعتصام بالذات ومطابقتها على نحو نرجسي مَرَضي لا يمكّنها أبدا من أن تتشكّل على نحو سليم ومتفاعل ومتطوّر، بل إن الاختلاف المقصود في هذا المشروع يوفّر حرية نسبيّة في ممارسة التفكير دون شعور بإثم الانفصال عن الماضي، ولا خشية التناقض مع الآخر، فهذه المخاوف التأثيميّة والتوجّسات أنتجتها ثقافة المطابقة، وهي مخاوف وتوجّسات تنهار دفعة واحدة إذا انتظمت الثقافة على أسس نقدية واعية وواضحة.

ومردّ الحاجة إلى "الاختلاف" رسوخ ثنائيات ضدّية خطيرة في صلب الثقافة العربية الحديثة، منها، على سبيل المثال: الأصالة والمعاصرة، الذات والآخر، الماضي والحاضر... إلخ. وقد تركت تلك المفاهيم أثرا مباشرا في الفكر انقسم الوعي بسببه إلى شطرين متضادين؛ بل متناحرين، حيث أصبحت تلك المفاهيم بذاتها «مرجعيات» ثابتة ونهائية، توجّه عمل الفكر، وتحدّد مجالاته، وتقوّم نتائجه، وكلّ منهما يعتصم بذاته في نسج براهين تؤكّد صوابه، وتسفّه أمر المفهوم المضاد.

ويؤكد إبراهيم أن النقد الذي يتطلّع إليه مشروع "المطابقة والاختلاف" هو ممارسة معرفية واعية تتوغل في تلافيف الظواهر الثقافية والدينية والعرقية، لتكشف أمام الأنظار طبيعة تلك الظواهر، وآلية الممارسات الخادعة التي تقوم بها، سواء في إنتاج ذات تدّعي النقاء كما تقول بذلك المرويات الإسلامية، أو في اختزال الآخر وفق نمط يوافق منظورها كما تريد المرويّات الغربية.

ومن ثم فإن المشروع يهدف إلى توسيع مديات الوعي في ما يخص طبيعة الظواهر الحاكمة في عالمنا المعاصر، وتخصيب تشعّباته النقدية، وإعطاء أهمية للبعد التاريخي للثقافات دون أسرها في نطاق النزعات التاريخية.

فالنقد، في نهاية المطاف، ممارسة تعي شرط حريّتها، وهو تفكير في موضوع التمركز غربيا أكان أم إسلاميا، من أجل إبطال نزعة التمركز وتكسير مقوماتها الداخلية، وفصل الوقائع المُختلطة ببعضها، والمُنتجة في ظروف تاريخية متصلة بـ"الذات" و"الآخر".

ولا يتقصّد النقد إيجاد قطيعة شكليّة مع هذا أو ذاك، بل ترتيب علاقة نقدية وفق أسس حوارية وتفاعلية وتواصلية، بهدف إيجاد معرفة جديدة تقوم على مبدأ "الاختلاف"، الذي هو بديل لـ"المطابقة"، فيكون اختلافا عن خرافات الذات المتمركزة على نفسها وأساطيرها، ومسلّمات الآخر المتمركز ومصادراته ومغالطاته؛ فلا يمكن أن تكون معرفة "الآخر" مفيدة إلا إذا تمّ التفكير فيها نقديا، والاشتغال بها بعيدا عن سيطرة مفاهيم الإذعان والولاء والتبعية، وبعيدا عن أحاسيس الطهرانية الذاتية وتقديس الأنا.

> **الثقافة العربية الحديثة رهنت ذاتها بعلاقات امتثالية للمركزيات الغربية، ولم تبلور أطرا عامة لحوار متفاعل معها**

وأخيرا، إنّ من الأهداف الأساسية لهذا النقد تغيير مسار التلقّي، الذي يقصد به الباحث الطريق الذي تأخذه الأفكار الأخرى للدخول في وعي الذات، فتتشكّل ضمنها، وهي حاملة معها دلالاتها، دون أن تخضع لمراجعة، حيث تحتفظ بمحمولاتها وسياقاتها الأصلية، وهو ما يُحدث انقساما شديدا في الذات الثقافية، لأنّها لم تُكيِّف تلك العناصر، بسبب غياب الإطار المنظّم والمكيّف القادر على إعادة إنتاج تلك العناصر، بما يجعلها مكوّنات في هذه الذات، وليس جزءا غريباً عنها، ومهيمنا عليها، وما يحصل أنّ تلك العناصر ستمارس أفعالها كأنّها ضمن نسقها الثقافي الأصلي، وهذا يقود إلى تعريض مكوّنات الذات إلى انهيارات داخلية، لأن تلك العناصر نُضدت جنبا إلى جنب، ولم تركّب محمولاتها وفقا للشروط التاريخية للذات الثقافية.

إن وظيفة النقد المعرفي، حسبما يرى إبراهيم، تكمن في أن يسهم في تغيير مسارات التلقّي، ويقترح كيفيات لاندراج عناصر الثقافات الأخرى في الذات الثقافية، فالثقافة العربية أصبحت حقل صدامات لا نهائية بين المفاهيم والمقولات والرؤى والتصورات المستعارة، وذلك سببه عدم الاهتمام بمسار تلقّي الأفكار الذي يؤدّي إلى أن تحافظ المكونات الغريبة على نفسها دون الانصهار في نسق الثقافة الجديد الذي يحتضنها.